

الباب الرابع والسبعون: في تحريم الخمر ودمها والنهي عنها

قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات: الأولى قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس﴾^(١) الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك إلى أن شرب فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقرُّوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾^(٢) فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله تعالى عنه فأخذ بلحي بعير وشجَّ به رأس عبد الرحمن بن عوف، ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر يقول:

وكائن بالقليب ^(٣) قليب بدرٍ	من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدني ابن كبشة إن سخيا	وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عني	وينشروني إذ بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني	بأنني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي	وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج مغضباً يجر رداءه فرجع شيئاً كان في يده فضربه به. فقال: أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله: فأنزل الله تعالى: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون﴾^(٤) فقال عمر رضي الله تعالى عنه: انتهينا انتهينا.

ومن الأخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مدمن خمر» وقوله ﷺ: «أول ما نهاني ربي بعد عبادة الأوثان عن شرب الخمر وملاحة الرجال». وممن تركها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جواداً من سادات قريش، وذلك أنه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فضربه على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب. فقال له عبد الله: ما بال عينك؟ فسكت. فآلح عليه فقال: ألسنت ضاربها بالأمس؟ فقال: أو بلغ مني الشراب ما أبلغ معه إلى هذا؟ لا أشربها بعد اليوم. ثم دفع له عشرة آلاف درهم. وقال: الخمر علي حرام، لا أذوقها بعد اليوم أبداً.

وممن حرّمها في الجاهلية أيضاً قيس بن عاصم. وذلك أنه سكر. ذات ليلة فقام لابنته أو لأخته فهربت منه، فلما أصبح سأل عنها فقيل له: أو ما علمت ما صنعت البارحة؟ فأخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه. ومن حرّمها في الجاهلية أيضاً العباس بن مرداس، وقيس بن عاصم وذلك أن قيساً شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا

(١) سورة: البقرة، الآية: ٢١٩.

(٢) سورة: النساء، الآية: ٤٣.

(٣) البئر: مدفن قتلى المشركين.

(٤) سورة: المائدة، الآية: ٩١.

أبرح حتى أنزله ثم يشب الوثبة بعد الوثبة، ويقع على وجهه فلما أصبح وأفاق قال: ما لي هكذا؟ فأخبروه بالقصة فقال: والله لا أشربها أبداً. وقيل للعباس بن مرداس: لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك؟ فقال: أكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيهم.

ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فأنشده فأعجبه إنشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك: يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه؟ قال يا أمير المؤمنين جلدي أسود، وخلقي مشوه، ووجهي قبيح وتكفيني مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلني إلى ذلك إلا عقلي وأنا أكره أن يدخل عليه ما يتقصه. فأعجبه كلامه ووصله. وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه: هل لك في الشراب؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت، ولكن أنا أمنع أهل عملي منه، وأكره أن أمنعهم عن شيء ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾^(١) وقال تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم﴾^(٢) وقيل لأعرابي لم لا تشرب النبيذ؟ فقال: لا أشرب ما يشرب عقلي. وقال الضحاك بن مزاحم لرجل: ما تصنع بشرب النبيذ؟ قال: يهضم طعامي. قال: أما أنه يهضم من دينك وعقلك أكثر. وقال ابن أبي أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر:

ألا يا لقومي ليس في الخمرِ رفعةٌ فلا تقربوا منها فلستُ بفاعلٍ
فإنني رأيتُ الخمرَ شيئاً ولم يزل أخو الخمرِ دخالاً لشرّ المنازلِ

وقال الحسن: لو كان العقل يشتري لتغالى الناس في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده. وقال عليه الصلاة والسلام: «حب الدنيا رأس كل خطيئة، والنساء حبايل الشيطان، والخمر داعية إلى كل شر» وقال بعضهم: بلوت^(٣) نبيذ الخمر في كل بلدة إذا دارت الأبطال أرضوك بالمنى وإن فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم: إياك وإخوان النبيذ، فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم، إذ زلت بك القدم فجزوك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه:

وكلُّ أناسٍ يحفظون حريمهم وليس لأصحاب النبيذ حريمٌ
فإن قلت هذا لم أقل عن جهالةٍ ولكنني بالفاسقين عليهم

ولالأعرج الطائي:

تركت الشعرَ واستبدلت منه إذا داعي صلاة الصبح قاما
كتابُ الله ليس له شريكٌ وودعت المدامة والندامى

وقال الصفدي:

دع الخمرَ فالراحاتُ في تركِ راجها وفي كأسها للمرء كسوة عارٍ

(١) سورة: هود، الآية: ٨٨.

(٢) سورة: البقرة، الآية: ٤٤.

(٣) بلوت: اختبرت.

(٤) حفاظ: كرامة وأنفة.

وكم ألبست نفسَ الفتى بعد نورها مدارعَ قازٍ في مدارٍ عقارٍ

نكتة: اجتمع نصراني ومحدث في سفينة فصب النصراني خمراً من زق كان معه في شربة وشرب، ثم صب فيها وعرض على المحدث، فتناولها من غير فكر ولا مبالاة، فقال النصراني: جعلت فداءك إنما هي خمر. قال: من أين علمت أنها خمر؟ قال: اشتراها غلامي من يهودي وحلف أنها خمر. فشربها المحدث على عجل وقال للنصراني: يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون، أنصَدَق نصرانياً عن غلامه، عن يهودي والله ما شربتها إلا لضعف الإسناد. ومن المجون في ذلك ما حكى أن سكراناً استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفثيه فقال: خدمك بنوك ولا عدموك. فبال على وجهه فقال: وماء حار أيضاً بارك الله فيك. وقيل: حالة السكرى ثلاثة: قرد حرك رأسه فرقص، وكلب هارث ففنج، وحية زويت فنامت. ومرَّ عقال الناسك بمرداس بن خدام الأسدي فاستسقاها لبناً فصبَّ له خمراً وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام، فقال:

سقيت عقالا بالعشيَّة شربة فمالت بعقل الكاهلي عقالي
قرعتُ بأم الخلِّ حبةً قلبه فلم يتعش منها ثلاث ليالٍ

ويقال: الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور. اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين.